الزرقاوي.. الجيل الثاني للقاعدة (5) شهادة ابو المنتصر:

ابو محمد المقدسي احضر «كيس» قنابل من الكويت.. وابو مصعب كان متعجلا ويريد تحقيق كل شيء في شهر بعد تجربة السجن في زنازين المخابرات الاردنية طلب الزرقاوي العمل معي فرفضت لنرجسيته وخرج ولم يعد

فؤاد حسين*

■ الشخصية التي يتناولها هذا الكتاب فرضت أنماطا مختلفة من صنوف التصنيف، تارة أسلوب البحث العلمي المعتمد على القراءة والبحث والتمحيص والتلخيص، وقد أخذ هذا الأسلوب نصيبه في فصول هذا الكتاب، وتارة أخرى الاستماع إلى شهادات العشرات ممن عرفوا الزرقاوي أو رافقوه في مختلف محطات حياته، وهذا أخذ وقتا طويلا بين تدوين تلك الشهادات، ومن ثم تدقيقها، وتمحيصها، ومقارنة الشهادات بعضها ببعض، للوقوف على المعلومة الدقيقة لاستخدامها بعد التحقق من صحتها، وطرح المعلومة الضعيفة واستبعادها، ما لم نستطع التثبت منها، وتارة أخرى الطلب من أشخاص بعينهم أن يكتبوا بأنفسهم إجاباتهم على أسئلة طرحناها عليهم، لكن الشاق في هذا الجانب كان الوصول إلى هؤلاء الأشخاص ممن لهم بصمات واضحة، سواء في تشكيل فكر الزرقاوي أو تشكيل منهجه واستراتيجيته، وكانت هذه المرحلة الأصعب من الكتاب، إذ باتت إمكانية الاتصال مع هؤلاء صعبة للغاية، إن لم تكن شبه مستحيلة، بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، فغالبيتهم إما في السجون أو مطاردون أو مختفون، لكن دون تدوين شهاداتهم، لن يكون للكتاب إضافة معتبرة، فآثرنا تأخير الكتاب شهورا عدة إلى أن وصلنا إلى مبتغانا، وضمنا الكتاب ثلاث شهادات تغطي مراحل تطور مسيرة الزرقاوي.

الشهادة الأولى كانت لأبي المنتصر بالله محمد، وهو الشخص الأول الذي بدأ الزرقاوي معه بناء التنظيم الأول الذي أسسه أبو مصعب عام 1993، وهو تنظيم التوحيد، الذي عُرف لاحقا باسم (بيعة الأمام)، مسجلا بالتواريخ والأسماء والأحداث كل ما تم حتى عام 1999. فآثرنا تلخيص هذه الشهادة دون التدخل في مضمونها، ذلك أن الكثير مما ذكره لم يعد سرا يحمل صفة الجدة، إن لم أقل أنه سبق أن نشر مضمونه بعموميته، لذلك أبقينا على المعلومات التي طرحت للمرة الأولى، وعلى الانطباع الشخصي لصاحب الشهادة وموقفه من تلك الأحداث التي دونها.

الشهادة الثانية كانت للأب الروحي للزرقاوي عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) الذي التقاه في الباكستان عام 1989، واتفق معه هناك على تشكيل تنظيم ديني في الأردن، وبقي معه في السجن، بادئا معه كرفيق درب وصديق، ثم شيخه الذي ينظر لفكرة التنظيم ويضع أدبياتها، ثم كتابع له بعد أن أصبح الزرقاوي أميرا للمجموعة داخل السجن، ثم منتقدا له وناصحا عن بعد، هو في سجنه بالأردن والزرقاوي في العراق.

الشهادة الثالثة، وهي الأهم كانت للرجل الثالث في القاعدة محمد مكاوي (سيف العدل) الذي يلقي من خلال شهادته الضوء على القدوم الثاني للزرقاوي إلى أفغانستان عام 1999، وأسباب الخلاف بين الزرقاوي وبن لادن، وكيف تم إنشاء معسكر خاص للزرقاوي في هيرات، مبينا طبيعة العلاقة التي كانت قائمة في تلك الفترة بين قيادة القاعدة والزرقاوي، وصولا إلى ضربة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وأهداف القاعدة من وراء هذه الضربة، موضحا كم تحقق من تلك الأهداف، مرورا باحتلال أفغانستان والخروج إلى باكستان وإيران، كاشفا طبيعة الدور الذي لعبته طهران حينذاك، وبعد ذلك قرار إدخال الزرقاوي إلى العراق والتحضيرات التي سبقت ذلك.

وفي محاولة لاستشراف مستقبل القاعدة في العراق من خلال تطور تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين تتبع الكتاب محطات تطور عمل، وشخصية الزرقاوي، خلال السنوات الثلاث الأخيرة. معتمدين معلومات دقيقة تطلب الوصول إليها استقصاء دقيقا وحثيثا، لكل من كان على تماس مع الزرقاوي خلال تلك السنين.

وللوقوف على مستقبل الحرب المفتوحة بين القاعدة، وواشنطن التي تطلق على حربها تلك مصطلح محاربة الإرهاب الدولي، حاورنا العديد من منظري القاعدة سواء ممن ساهموا في صنع استراتيجياتها في وقت سابق أو من باتوا من صناع قراراتها لاحقا، واستمعنا إلى كل ما يجول بخاطرهم، لنرسم للقراء استراتيجية القاعدة حتى عام 2020، والوسائل التي أتبعوها، والخطط التي وضعوها للوصول إلى تحقيق هذه الاستراتيجية.

مر أبو مصعب الزرقاوي بمحطات مهمة محددة، عاصره خلالها أشخاص ما زالوا على قيد الحياة، قسم منهم اختلف معه وفارقه بلا عودة فتخلفوا عن اللحاق به، وأخرون عملوا معه بل وتتلمذ عليهم، لكنه تجاوزهم، وفاقهم، وأخرون عملوا معه وما يزالون يؤمنون بما يؤمن، لكن التطورات التي تلت الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) باعدت بينهم. تواصلنا مع العديدين منهم، لرسم الصورة الأقرب لتطور شخصية الزرقاوي عبر محطاته المختلفة، سجلنا انطباعاتهم، واستكتبنا بعضهم حول انطباعاتهم عن تجربتهم معه، فجمعنا ثلاث شهادات، كل واحدة منها تؤرخ لفترة زمنية مختلفة، وضعناها في ترتيبها الزمني لتلقي الضوء على تطور شخصية أبو مصعب الزرقاوي، الأول (أبو المنتصر) طليق ينعم بالحرية، يستذكر تجربته مع الزرقاوي كذكرى عابرة مرت في حياته، وان ما زالت تترك ندوبها عليه. والثاني (أبو محمد المقدسي) عرف الزرقاوي في ساحات القتال بأفغانستان، وفي السجن، وبعد السجن، لكنه لا يزال قابعا في سجنه بالأردن قانعا بدوره الفكري. أما الثالث محمد مكاوي (سيف العدل)، فلولاه لما كان الزرقاوي في يوم من الأيام من القاعدة، بسبب خلافه مع أسامه بن لادن، لكن حنكة سيف العدل وبعد نظره، أهلته لينسج عام 1999، علاقة ذات طابع خاص بين القاعدة والزرقاوي، ولدت لاحقا في عام 2005 تحالفا بين الرجلين، ستكون آثاره على تطورات الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط والعالم، بلا شك كبيرة. هذه الشهادات الثلاث نضعها بين يدي القراء، دون تدخل في مضامينها، وحتى بدون تعليق أو شرح أو توضيح، باعتبارها شهادات تاريخية، كاتبوها وحدهم يتحملون مسؤولية ما جاء فيها.

شهادة محمد أبو المنتصر

في شهر آب (اغسطس) من صيف 1993، حضر لزيارتي سليمان حمزة، وهو من الأشخاص الذين كانوا معنا في جماعة الدعوة والجهاد، ومعه أيضا شريف عبد الفتاح جمعة، وهو أيضا كان في نفس الجماعة. اخبراني أن أخا قدم من أفغانستان يرغب بزيارتي ولقائي والتعرف علي لما سمعه من الأخوة عني، رحبت بذلك، حضرا في اليوم التالي وبرفقتهما احمد فضيل نزال الخلايلة (أبو مصعب) وخالد مصطفى العاروري (أبو القسام). تجاذبنا أطراف الحديث ساعة من الزمن، ثم استأذن أبو مصعب فاستأذنت معه البقية، وفي أثناء التوديع اسرّ لي بأنه سيعود في الغد ان شاء الله.

حضر أبو مصعب مساء اليوم التالي وبرفقته خالد العاروري (أبو القسام)، تحدثنا حول بعض التجارب والأحداث السابقة، وغالباً ما كان أبو مصعب هو المتحدث، ويستشهد في ما يقول بأبو القسام الذي كان يوافق أبو مصعب على ما يقوله اما بالايماء بالرأس مع الهمس بنعم أو بعض الكلمات التي ينطق بها تأييداً، وأحيانا قليلة يسهب بالحديث مستشهدا بموقف أو موقفين لتأكيد ما يتكلم به أبو مصعب، وبعد اخذ وعطاء وانسجام في الحديث قطع أبو مصعب الكلام بقوله، موجهاً الحديث لي:

أخي حضرت لطرفك اليوم مع أخي أبو القسام لنعرض عليك أن نلتقي سوياً من اجل دعوة التوحيد، وأنت تعلم أن الساحة خالية من هذا المنهج وهي بأمس الحاجة اليه، واننا نتمنى عليك العمل سوياً من اجل دين الله وكلمة التوحيد.

أجبت: انه لمن دواعي سروري أن التقي معك من اجل دين الله في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

أبو مصعب: اذن فنحن معك وهناك الكثير من الأخوة الذين يحبون أن يلتقوا معنا على طاعة الله، وانشاء الله تسير الأمور على ما يرام، وستكون طبيعة دعوتنا مختلفة عن الآخرين، وسوف نركز على دعوة التوحيد، وهناك أخ صاحب علم سأعرفك عليه وله كتابات في التوحيد وهو يود أن يلتقي معنا في الدعوة.

أجبت قائلاً: من هو هذا الأخ؟

أبو مصعب: هو الأخ أبو محمد المقدسي (عصام محمد طاهر البرقاوي).

فما أن سمعت باسم المذكور حتى بادرت قائلاً: لقد تعرفت عليه من خلال كتيب صغير له كنا نوزعه أيام العمل مع أبو همام اسمه (ملة ابراهيم).

أبو مصعب: نعم هو صاحب كتيب ملة ابراهيم.

كان أبو مصعب متحمساً ومتعجلاً بشدة، فقلت له: يا أخ احمد الساحة هنا ليست الساحة في أفغانستان، وهي تختلف اختلافاً كلياً عن هناك، وبالتأكيد طريقة الدعوة ستختلف أيضا، ومن خلال تجربتي السابقة في قضية جيش محمد فان الأمر يحتاج الى فهم عميق ودقيق ودراسة موسعة للوضع هنا، وكذلك الصبر والتأني وقدرة فائقة على انتقاء الأخوة، مخافة السقوط في الشرك (المصيدة).

أبو مصعب: انشاء الله كل شيء محسوب حسابه وسوف نستخير انشاء الله. ما رأيك يا أبو القسام؟

أبو القسام: نحن انشاء الله جاهزون، والذي يقوله لك الأخ أبو مصعب هو الصحيح.

كان أبو القسام شديد الارتباط بأحمد فضيل، لا يخالفه في رأي مهما كانت نتائجه، (وفك الله أسره).

قلت: يا أبو مصعب هل من الممكن تحديد أهداف العمل والأطر التي يمكن السير بها.

أبو مصعب: أهم الأهداف التي نسعى اليها نشر دعوة التوحيد. والتوحيد عند أبو مصعب يعني: نظام الحاكمية في الاسلام والذي يُعتبر أخص خصائص توحيد الألوهية، فدعوة التوحيد التي نسعى لنشرها هي المطالبة بتحكيم شرع الله والكفر بالأنظمة والقوانين والدساتير والشرائع الوضعية، سواء كانت أنظمة ديمقراطية أو غير ديمقراطية.

ثم أردف أبو مصعب قائلاً: لدينا مجموعة من الرسائل الشرعية الخاصة بدعوتنا، ويجب علينا أن ننشط في هذه الدعوة للحيلولة دون مشاركة الناس في الانتخابات النيابية القادمة، خاصة أن الحركة الاسلامية (الاخوان المسلمون) ينتهجون الخط السياسي المشارك في هذه الانتخابات الكفرية، وانشاء الله نرد كيدهم في نحورهم.

قلت: هل تذكر لي بعض هذه الرسائل.

أبو مصعب: هناك كتيب ملة ابراهيم، بالاضافة لشريط تسجيل ورسالة مطبوعة في حرمة الانتخابات الديمقراطية لأبو طلال القاسمي، وهو أحد أعضاء الحركة الاسلامية في الجزائر، علاوة على دروس في التوحيد تقوم أنت والأخ أبو محمد المقدسي باعطائها للاخوة.

قلت: أبو مصعب هل هناك شيء آخر؟

أبو مصعب: نعم وقام بطرح بعض الآراء والأفكار، الا أنني تحفظت عليها وقلت له: نحن في بداية الطريق وتلزمنا الأناة ويلزمنا الصبر حتى يتم لنا التمكين وانشاء الله بعد ذلك لكل حادث حديث.

أبو مصعب: ان شاء الله نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله.

أبو القسام: لا تخف، ان شاء الله الأمر مثل ما قال أبو مصعب نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله.

قلت: وكنت أريد أن اختبر شخصية الاثنين معاً ـ يا اخوة الأمر ليس كما تظنون فمن يقع في قبضة المخابرات الأردنية وخبرهم ليس كمن لا يعرف عنهم سوى الكلام الذي يسمعه من الآخرين، وكما قيل ليس المخبر كالمعاين، ويجب أن نكون على جانب عظيم من الحذر والحرص، فمن وقع في أيديهم فلن يخلصه منهم الا الله عز وجل.

أبو مصعب: يا أخي الأمر بسيط انشاء الله وهم أهون عند الله من الذر.

أبو القسام: نعم والله انهم كما قال أبو مصعب أهون عند الله من الذر.

أبو مصعب: يا أخي هل أنت مستعد أن تلتقي معنا على ذلك.

قلت: نعم وبالله التوفيق.

أبو مصعب: مدّ يدك لنبايعك أميرا فأنت انشاء الله أهل لذلك.

أبو القسام: نعم مدّ يدك على بركة الله.

قلت: مهلاً يا اخوة وان كانت الامارة سنة واجبة الا أنني لا رغبة لديّ في هذا الأمر اجعلوا لها غيري.

أبو مصعب: لا بل أنت انشاء الله الأمير.

أبو القسام: نعم.. أنت الأمير.

قلت: لا والله لا ابتغيها، ورجائي أن تكفوني هذا الأمر، واقتراحي أن لا تكون هناك مسميات من هذا النوع لان الأمر لا يحتمل ذلك، ولا يوجد لدينا شيء حتى الان، والا فليكن أبو مصعب مبدئياً هو الأمير.

الا أن أبو مصعب أصر على مسألة الامارة، فاتفقنا على أن نذهب في اليوم التالي الى أبو محمد المقدسي.

في صبيحة اليوم التالي حضر أبو مصعب وأبو القسام واصطحباني الى منزل أبو محمد المقدسي الكائن في حي الرشيد في الرصيفة. شرح أبو مصعب ما دار بيننا في اليوم السابق ثم قال: نحن الآن معاً ونود أن نبين أمر الأمير، فانتهى الأمر على الاتفاق بان يكون عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) أميرا للجناح الدعوي، وأبو مصعب أميرا للجماعة، على أن نكون أنا وأبو القسام حسب رأيهم من أهل الشورى والحل والعقد للجماعة. في هذه الجلسة تمت اعادة توزيع أدوار العمل الدعوي من جديد وارساء حجر الأساس لما سنستقبله في الأيام القادمة، وكانت ابرز خطوة تم الاتفاق عليها هي الاسراع في طباعة ونشر كافة الرسائل الشرعية التي تتحدث عن تحريم الديمقراطية والانتخابات النيابية والبرلمانية، وذلك لتغطية استحقاقات الفترة الانتخابية القادمة 1993 بعد اشهر قليلة، وتمت مضاعفة الجهود الفردية وبالتالي الجماعية بنشاط ملحوظ في سبيل بيان الحكم الشرعي الخاص بعملية الحكم بغير ما انزل الله لعامة الناس ومحاربة كل من يفتي بخلاف ذلك.

بعد عدة أيام من ذلك اللقاء، زارني احمد فضيل (أبو مصعب) وخالد العاروري (أبو القسام) ومعهما كيس من الخيش، فقال أبو مصعب: أخي أحضرت في هذا الكيس بضع قنابل يدوية هي للأخ أبو محمد المقدسي، أحضرها معه من الكويت بعد دخول صدام حسين اليها، قام بتهريبها في الشاحنة التي نقلت أثاثه، وهو يخفيها منذ ذلك الوقت في بيته، وقد أعطاني اياها لأتدبر أمرها في مكان آمن.

أدهشني هذا الأمر غير المتوقع وبهذه السرعة والكيفية معاً، وقد كنت أدرك تماماً أن امتلاك مثل هذه الأشياء وفي هذا الوقت مقتل للدعوة وللأشخاص وتسرع وتهور، وكنت اعلم يقين العلم، أن الدولة لا يضيرها أي أمر مهما كان بالغ الخطورة بقدر هذه الأمور، فأي أمر مهما بلغ حجمه وبلغت خطورته هو في نظر النظام تافه اذا ما قورن بأمر الأسلحة والمتفجرات والقنابل، والدولة تتحين مثل هذه الفرص للايقاع بالدعاة، لذلك كان موقفي منها موقفاً حازماً، وبعد نقاش في المسألة رجع أبو مصعب عن الأمر، واخذ الكيس وانطلق هو وأبو القسام.

استمر العمل الدعوي للتوحيد أياما وشهوراً دون تحديد هيكلية واضحة المعالم للجماعة، أو حتى تحديد اسم لها، وكان ممن التقى معنا على هذا الفكر الكثير من الشباب الذين كانوا معنا في جماعة الدعوة والجهاد، مع أن تلك الجماعة التي انتهت كانت واضحة المعالم والأهداف اكثر من هذه.

ومن الشباب الذين انضموا الى العمل طلال البدوي (أبو البراء) الذي انفصل عن الجماعة بعد الخروج من السجن، وانشأ جماعة شديدة الغلو في الدعوة.

المشكلة التي كانت تواجهني هي تسرع الأخ أبو مصعب، فهو يريد كل شيء بسرعة وكأنه يريد تحقيق كل ما يطمح اليه في ظرف شهور، ان لم يكن في ظرف ساعة من الزمن، وهذه السرعة كانت من أهم عوامل الخطر المحدق بدعوتنا، وكان ينفرد بالقرارات في جل الأوقات ويأتي بالأمور في غير وقتها ولا مكانها المناسبين، ولكن المصيبة الافدح أن اكثر الأخوة كانوا يوافقونه على ذلك.

مجلس مخترق

كنت أحب فيه اخلاصه في عمله ولهفته وشوقه، لكن في نفس الوقت أخشى من كل هذه الأمور، فاخبرته ان العملية على الساحة الأردنية تكاد تكون معدومة، وكنت اكثر ما أخافه عليه سهولة الاختراق من المخابرات. جاءني يوما ليعلمني بمسألة دروس أبو محمد المقدسي في أماكن مجتمعة، كان أبو محمد يعطي درساً في العقيدة الواسطية في منزل نافز فايز، فذهبت لأرى، هالني ما رأيت، كان المقدسي وحوله ما يزيد عن خمسة عشر شخصاً، فما أن رأيت ما رأيت خرجت من حيث دخلت، ولم اجلس ولم يعجبني الحال ولا بعض الأشخاص، بدا لي أن المجلس مخترق، ومن خلال تجربتي السابقة في قضية الدعوة والجهاد فانه من الأجدى اعطاء مثل هذه الدروس في المسجد، وعدم اعطائها بالكيفية آنفة الذكر حتى لا تأخذ طابعاً أمنيا تكون عواقبه غير محمودة، ولكن قد حصل ما توقعت، ومن مأمنه يؤتى الحذر، ولقد أوتينا من هذه الدروس ومن ثم كشف العمل عن طريقها.

ونتيجة لخروجي من ذلك المجلس بتلك الطريقة، وقيام بعض المفسدين بالايقاع بيني وبين أبو مصعب، انقطعت العلاقة بيننا ما يقرب من شهرين أو يزيد، وفجأة عاد أبو مصعب اليّ أحسنت استقباله، وبعد أن هدأ واطمأن اخبرني بأنه مطارد هو ومجموعة من الأخوة منهم أبو القسام والمقدسي وعبد الهادي وسليمان حمزة، نعم اصبحوا مطاردين من المخابرات ولم يعد يجد ملاذاً آمناً اكثر من بيتي، رحبت به وكنت مستعداً أن أتناسى ما حدث واقف الى جانبهم. كان برفقة أبو مصعب نصري عز الدين الطحاينة، سألت أبو مصعب عن مدى ثقته به، فأشار لي بأنه من الأخوة الثقاة الذين تضعهم على يمينك، قلت ولكنني أخشى من عدم قدرته على التحمل عند المخابرات، فاشار انه على العكس من ذلك، وبقوا مختبئين في منزلي ما يزيد عن أربعة اشهر.

الاعتقال

في أواخر رمضان 1414هـ الموافق بداية شهر آذار (مارس) 1994 ذهبت في رحلة عمرة مع صديقين لي، حصلت مشاجرة بينهما وبين أحد ضباط المخابرات، مما أدى الى اعتقالنا على الحدود أثناء عودتنا من العمرة، وتم احتجازنا في دائرة المخابرات العامة ـ العبدلي ـ في عمان. في المساء استدعيت من قبل أحد المحققين واخبرني بأنني موقوف بسبب مشكلة الأخوة مع رجل المخابرات في العمرة وعلى الحدود، فأخبرته بان الأمر لم يتعد كونه مشاجرة بين شخصين، بعد ذلك سألني المحقق عن احمد فضيل الخلايلة، كما سألني عن عصام طاهر البرقاوي، فأنكرت معرفتي بهما. استمر التحقيق معي بهذا الشأن مدة 12 يوماً، في اليوم الخامس من الاعتقال، زارني مندوب الصليب الأحمر، فأرسلت معه رسالة الى زوجتي وأهلي أعلمهم بأنني معتقل في دائرة المخابرات العامة. حين علم الأخوة أبو مصعب وأبو محمد والجميع بالنبأ تركوا البيت وغادروه الى أماكن أخرى آمنة.

في الليلة الأخيرة من شهر آذار (مارس)، بعد الساعة الثامنة ليلاً، استدعاني المحقق واخذ افادتي الأخيرة، وابلغني انه سيفرج عني صباح اليوم التالي، عدت الى زنزانتي مسروراً بموعد خروجي.

كانت زنزانتي قبالة بوابة السجن الرئيسة، تتيح لي رؤية الداخل والخارج، فوجئت برؤية احمد فضيل (أبو مصعب) محمولاً في أحضان رجل ضخم من حرس المخابرات، وحوله مجموعة من الرجال، كان نصري الطحاينة مع أبو مصعب، وهذا ما لم يكن بالحسبان فانقلبت الحسابات، فبعدما كنت أتمنى الخروج صرت أتمنى أن يثبت أبو مصعب ونصري، ولا يذكرا شيئاً عني لحين اخرج من المخابرات. وما هي الا دقائق لم تزد عن ثلث ساعة حتى حدثت الصاعقة الكبرى، جاءني أحد الحرس ممن يتولون التعذيب في الساحة، يركض تجاه الزنزانة يسأل عني، ثم جذبني من يدي وسار بي الى ساحة التعذيب، وعلى باب الساحة وجدت نصري الطحاينة يقف ويبدو انه ضُرب بعض الشيء، الا أن آثار الضرب غير واضحة عليه، فَسُئل: أهو هذا؟ فقال: نعم. فالتف الجميع حولي، ثم أدخلوني الى ساحة التعذيب، والله اعلم بما جرى. بعد ذلك وضعوا القيد في يدي وتمت تغطية عيوني ثم أخذوني الى بيتي للتأكد من وجود المقدسي فيه، وعندما لم يجدوا أحدا أعادوني الى المخابرات العامة. وتم وضعنا أنا واحمد فضيل وأبو القسام في زنازين انفرادية في مبنى آخر تحت الأرض، ومنعنا من النوم 15 يوماً بلياليها، كانوا يريدون مني أن اعترف عن المتفجرات التي كانت بحوزة الأخوة، فأخبرتهم بأنني ضد هذه الأمور، وحين عرضت علي رفضتها. اقتنعوا بعد ذلك بحقيقة الأمر وقد اعتقل أبو محمد المقدسي بعد عدة أيام، وفيما بعد علمت أن اعتقال أبو مصعب تم عن طريق شخص مقرب منه استأجر له شقة في عمان، سكنها هو ونصري، أما بالنسبة لاعتقال أبو محمد المقدسي، فقد تم بعد أن أُعتقل اخوته، فسلم نفسه لأجل الافراج عنهم.

واذكر أيضا أننا وأثناء التعذيب جاء موعد زيارة الصليب الأحمر لسجن المخابرات فقاموا باخفائنا عن عيون الصليب الأحمر فوق عمارة من عمارات دائرة المخابرات العامة من صبيحة ذلك اليوم وحتى نهاية الدوام عصراً، ثم قاموا باعادتنا الى زنازيننا واتمام مشوار التعذيب، كنا يومها أنا وأبو مصعب وأبو القسام وبقية الأخوة.

بعد ذلك تم ترحيلنا من سجن المخابرات العامة في المبنى القديم في العبدلي الى سجن المخابرات العامة في المبنى الحديث في الجندويل ـ بيادر وادي السير. واستمر اعتقالنا الى شهر أيلول (سبتمبر) 1994، كنا خلال هذه الفترة نسمع أصوات بعضنا البعض بالتكبير وباطلاق بعض العبارات مثل الله مولانا ولا مولى لكم، وكان الكل يطلق مثل هذه العبارات أبو محمد وأبو مصعب وأنا وعبد الهادي والجميع كما كنا نراقب بعضنا البعض عند الخروج الى ساحة التشميس وبقي الأمر على ما هو عليه الى نهاية الشهر تقريباً حيث افرج عن الجميع ولم يبق الا أربعة عشر رأت دائرة المخابرات العامة تقديمهم الى المدعي العام ومن ثم ترحيلهم الى السجون وتقديمهم للمحاكمة وهم: المتهم الأول عصام محمد طاهر محمد (أبو محمد المقدسي)، المتهم الثاني احمد فضيل نزال (أبو مصعب)، المتهم الثالث مصطفى حسن موسى، خالد مصطفى العاروري (أبو القسام)، سليمان طالب احمد حمزة (أبو المعتصم)، محمد وصفي عمر أبو خليل، نصري عز الدين محمد الطحاينة (أبو العز)، نبيل يوسف احمد أبو حارثيه (أبو مجاهد)، شريف ابراهيم عبد الفتاح جمعة، احمد عبد الله يوسف الزيتاوي، محمد عبد الكريم احمد الرواشدة، المتهم محمد فخري موسى الصالح، علاء الدين عاطف، سعادات عبد الجواد، طلال كايد البدوي، وعبد المجيد المجالي (أبو قتيبة).

قدرات هائلة وتخطيط ضعيف

تظهر فترتا الاعتقال لدى المخابرات وما قبلها من دعوة ومطاردة، قدرات الأخوة المتواضعة جداً في العمل، وضعف التخطيط وسهولة الاختراق، وكنت أتمنى أن تطول فترة الدعوة لصقل الشباب صقلاً فكرياً وعقائدياً مناسباً لكون أكثرهم من الشباب غير المتعلم أو ضعيفي التعليم، ناهيك عن ضرورة ترسيخ الدعوة وايجاد القاعدة المناسبة لها لحمايتها، أو للوقوف الى جانبها لكن قدّر الله وما شاء فعل.

بعد فترة الاعتقال لدى المخابرات العامة، وشدة التعذيب التي تعرض لها بعض الأخوة اكسبتهم صلابة فيما بعد، واستعداداً أكيدا للمواجهة، الا أن سلبيات العمل قبل الاعتقال كانت درساً كبيراً فيما بعد.

في اليوم الأخير من وجودنا داخل زنازين المخابرات ـ بعد أن مكثنا اقلنا فيها سبعة اشهر ومنا من مكث تسعة اشهر حسب تاريخ الاعتقال ـ نقلونا الى سجن سواقة الذي يقع جنوب عمان بمسافة تزيد عن 80 كم. طلب أحد كبار ضباط السجن خلع ملابسنا قبل ادخالنا الى غرفنا، نظرنا الى بعضنا البعض، فما كان مني الا أن قلت له لا لن نخلع ملابسنا ولن يرى أحدا منكم عوراتنا، وتشجع الأخوة لقولي وآزروني في القول، وبالفعل رفضنا أن نخلع ملابسنا أو كشف عوراتنا، كنت اعلم انهم يحاولون كسر شوكتنا، لذلك رفضنا، فلم اصرارهم على تفتيشنا، ونحن قادمون من اخطر المراكز الأمنية واشدها على الاطلاق ـ دائرة المخابرات العامة ـ فما الذي يمكننا أن نخفيه في أجسادنا ونحن قادمون من هناك. وفي النهاية تم تفتيشنا من فوق الملابس. وأدخلنا الى السجن، ووضعنا بغرفة تتسع للمجموعة كاملة كان رقمها على ما اذكر 204. ولم يكن بيننا أبو مصعب ولا المقدسي.

كانت أول خطوة خطوناها في هذه الغرفة أن تداولنا فيما بيننا مسألة امارة الجماعة، حيث من السنة وضع أمير لنا يقوم بمراعاة شؤوننا مع الادارة، اقترح بعض الأخوة أن أكون أميرا والبعض الآخر اقترح أبو قتيبة الا انه رفض ووقع الاختيار أخيرا على الأخ نبيل أبو حارثية (أبو مجاهد) كونه أمضى في السجن سنين في قضية جيش محمد، ووقع الاختيار علي كناطق رسمي باسم الجماعة أقوم بمخاطبة ادارة السجن في جميع شؤونهم مع الأمير أو بدونه، وهكذا بدأت رحلة شاقة وصعبة استطعنا خلالها أن نفرض واقعاً جديداً داخل السجن وفرضنا هيبتنا على ادارة السجن وعساكره بتضحيات جسام. في هذه الأثناء كنا نتتبع أخبار بقية الأخوة الموزعين على سجون مختلفة، حتى الشهر الأول من عام 95 حيث بدأت المرحلة الثانية للجماعة والفكر، حين وصل أبو مصعب الى سجن سواقة ومعه شخص آخر من الاسلاميين اعتقل وحده في قضية حيازة متفجرات واطلاق النار على رجل مخابرات، واسمه محمود خريوش (أبو عبيدة) ووضعتهما ادارة السجن في مهجع بعيد عنا، الا أنهما جلسا عندنا بقية ذلك اليوم، وفي اليوم التالي عاد الينا أبو مصعب دون أبو عبيدة بسبب منعه من قبل ادارة السجن، وبعد نضال مرير اجتمع الشمل مجددا، خاصة بعد قدوم أبو محمد المقدسي. لكن مع تفاقم المشاكل مع ادارة السجن، جرى بعد شهر من تجمعنا توزيعنا على سجون المملكة من جديد: أنا وأبو محمد المقدسي ومصطفى حسن ونبيل أبو حارثية ومحمد صالح موسى نقلنا الى سجن معان، ويقع أقصى جنوب الأردن على بعد 220 كم من العاصمة عمان. وأبو مصعب ومجموعة الى سجن قفقفا، ومجموعة أخرى الى بيرين والجويدة، وبدلاً من أن تكون مشكلتنا في سجن واحد فقد اصبحت في كل سجن من هذه السجون مشكلة لا يمكن أن تحل بالنسبة لهم، فالكل يجتهد حيث هو بدعوته، وبعد أربعة اشهر من التفريق في السجون تمت اعادتنا الى سجن سواقة في شهر نيسان (ابريل) سنة 1995، وتم تخصيص مهجع لنا مع الاسلاميين بشكل عام في شبك واحد. وهنا بدأت مرحلة أخرى للجماعة والفكر.

جماعة التكفير

كانت ادارة السجن تطلق علينا جماعة التكفير، حتى أن بعض الأخوة جاء يقول لي أن ادارة السجن تقول عنا جماعة التكفير فبما نجيبهم، فقلت لهم: قولوا لهم نحن لسنا جماعة التكفير بل نحن جماعة التوحيد، ليس هذا فقط بل نحن جماعة التوحيد والجهاد، ومن هنا أصبحت التسمية لهذه الجماعة فيما بعد جماعة التوحيد والجهاد.

كنا نحن وجماعة حزب التحرير في جناح واحد من السجن، يقابلنا في الجناح الآخر من بقي من جماعة الأفغان الأردنيين، لأن بعضهم قد انضوى تحت لوائنا مع بعض الاسلاميين الذين جاءوا بقضايا منفردة، وجماعة جديدة وجدناها أمامنا هم جماعة التجديد الاسلامي.

بدأت مسألة الامارة تطفو على السطح من جديد، وتم تأمير عصام البرقاوي على الجماعة، الا أن سياسته في التعامل مع الادارة في قضايانا، لم تعجب الكثير من الأخوة ومنهم أنا واحمد فضيل وعبد الله حشايكة، الى أن آلت الامارة الى احمد فضيل بعد عدة أشهر.

شعرت أن أحمد فضيل يتصرف لامارته، كما شعرت أن المقدسي يتصرف لمشيخته ليصل على الأكتاف، حتى أن ما يكتبه ـ شعرت انه لم يكن خالصاً لله، بل ليقال بأن الشيخ كتب كذا وفعل كذا، فيما تبينه الحوادث التي أدت الى انفصالي عنهما، وبالتالي عن الجماعة، رغم استمراري معهم في كل الاجراءات التي كنا نتخذها في المحكمة لحين صدور الأحكام، سواء من اظهار العداء لهيئة المحكمة أو غير ذلك.

أثناء فترة السجن التي قضيناها، حدثت في فلسطين مجموعة من العمليات الاستشهادية التي كان ينفذها الجناح العسكري لحركة المقاومة الاسلامية حماس، استفتى بعض الأخوة الموجودين داخل السجن وخارجه المقدسي حول شرعية تلك العمليات أو حرمتها، وقد كان رد المقدسي أن هذه العمليات محرمة لكونها انتحارا، فوقفت في وجهه، ناقشته بالدليل الشرعي، وأرد عليه بشرعية هذه العمليات، الا انه رفض ما أقوله وناصره في ذلك احمد فضيل أبو مصعب لأنه يعتبر أبو محمد المقدسي شيخه وعالمه ومفتيه، واخرج أبو محمد فتوى بتحريم هذه العمليات، عند ذلك تصدى له الكثير من الداخل مثل المهندس عطا أبو الرشتة الناطق الرسمي باسم حزب التحرير آنذاك وجماعة التجديد وآخرين محتاراً بين فتواه بالتحريم أو الفتوى الشرعية فاخرج فتوى جديدة مفادها (لعم) نعم بصيغة لعم ليست بلا وليست بنعم.

عند ذلك قمت بتفنيد فتواه ضمن رسالة شرعية حبرتها بالدليل الشرعي ومبيناً شرعية هذه العمليات، وأشرت فيها أن صاحب هذه العملية خير شهيد بعد رجل قام الى أمام جائر فأمره ونهاه فقتله، فهو سيد الشهداء ثم يأتي من بعده صاحب العملية الاستشهادية والله اعلم، نشرت تلك الفتوى داخل السجن وخارجه رداً على ما وقع من المقدسي.

بعد أسبوع من اعلان البراءة جاءت اللحظة الحاسمة التي كنت انتظرها منذ أربعة أعوام، فبعد أربع سنوات سجن جاء الحكم بالبراءة فأية عدالة كاذبة هذه؟! وأين ثمن هذه الأربع سنوات، نعم اسأل الله عز وجل أن تكون في ميزان حسناتي يوم القيامة «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله».

وصل كتاب الافراج وطلبت ادارة السجن مني ومن نصري الطحاينة الاستعداد للعودة من حيث أتينا، فخرج معنا أبو مصعب ليودعنا وقال لي: لننس ما فات ولنرجع كما كنا والأيام القادمة معاً انشاء الله، فقلت انشاء الله.

بعد سنتين من الافراج عني توفي الملك الحسين بن طلال وخرج بقية الأخوة من السجن بعفو عام أصدره الملك عبد الله الثاني بن الحسين، ولما خرج أبو مصعب زارني في البيت وطلب مني أن نفتح صفحة جديدة ونعود للعمل معاً وربما السفر الى أفغانستان، فرحبت به ضيفاً لكنني رفضت أن أعود للعمل معه مطلقاً، بسبب نرجسيته ناهيك عن أسباب شخصيته الأخرى، وخرج أبو مصعب من عندي ولم يعد مرة أخرى وكان ذلك آخر العهد بيننا.

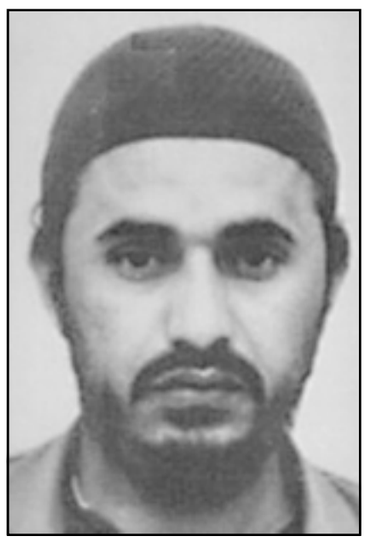

ابو مصعب الزرقاوي

**ابو محمد المقدسي اعتبر العمليات الاستشهادية في فلسطين حراما لكونها انتحارا، فوقفت في وجهه، ناقشته بالدليل الشرعي.. الا انه رفض ما أقوله وناصره في ذلك احمد فضيل (أبو مصعب) لأنه يعتبر أبا محمد المقدسي شيخه وعالمه ومفتيه... وتصدى له الكثير من الداخل مثل المهندس عطا أبو الرشتة الناطق الرسمي باسم حزب التح